الفصل الثالث

دعوة سيدنا موسَى عليه السّلام

لفهم رسالة الأنبياء والمرسلين عن كثب يجب استعراض دعوات أولي العزم من الرسل كما يجب الاهتمام بدعوة النبي موسى الذي ينتسب إليه اليهود والنصارى فنقول :

بعث الله سيدنا موسى عليه السلام لمهام كثيرة وكل مهمة منها عظيمة جسيمة ، لذلك كان ثالث أولي العزم من الرسل .

المهمة الأولى : مقاومة طغيان مدعي الربوبية وهو فرعون الطاغية الذي ورث دعوى الربوبية من نمروذ ملك الكلدان .

المهمة الثانية : تحرير الشعوب المستعبدين المستضعفين ورفع مستواهم من المهانة والذلة إلى العزة والكرامة .

المهمة الثالثة : مقاومة كفران بني إسرائيل لنعم الله المتوالية عليهم .

المهمة الرابعة : وضع الشريعة وتأسيس الحكومة .

أما المهمة الأولى فتدل عليها الآية الآتية : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص:٤) .

أما المهمة الثانية فمأخوذة من قوله تعالى :

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص:٥،٦) .

والمهمة الثالثة واضحة في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٠) .

والمهمة الرابعة جلية في قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذُوهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٤، ١٤٥) .

● منهج سيدنا موسى في دعوته

كان سيدنا موسى أول من طلب من الله مؤازرته بالشريك المعين له على أداء رسالته حيث قال : ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (طه: ٢٥-٣٦) .

كان سيدنا موسى أول رسول استعمل أسلوب المناظرة العلنية لإظهار الحق حيث قام أمام فرعون يناظره حسبما جاء في سورة الشعراء قال تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ

﴿ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾

(الشعراء:١٦-٣٣) .

ومن مناهج سيدنا موسى في الدعوة أنه جاهد بالسنان كما جاهد باللسان ، قاد الجنود وقاتل الكفار من الجبابرة الكنعانيين كما قال تعالى حكاية عنه : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ (المائدة:٢١،٢٢) إلى قولهم : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة:٢٤) .

وقد مات هارون وموسى والنقباء في هذه الحرب ولم يفتح بلاد الجبارين إلا تلميذ موسى الذي هو يوشع بن نون .

ومن مناهج سيدنا موسى أنه أعان المدعوين في شدائدهم لتأليف قلوبهم لقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾

(الأعراف:١٣٤،١٣٥) .

وكان سيدنا موسى أول نبي استخف به قومه الذين قالوا : آمنا ولم يؤمنوا ودليل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ (الصف:٥)[1].

---

(١) ولقد سبق قوم نوح إلى الاستخفاف به ، ولكنهم لم يكونوا مؤمنين به وهذا هو الفرق .

ظلوا على هذا العناد طوال أيام موسى ثم استمروا على ذلك مع سائر الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى ، قتلوا فريقًا منهم وكذبوا فريقًا قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة:٨٧) .

ومن عناد قوم موسى ، تبديل نعمة الله كفرًا في بحبوحة النعمة وذلك عندما ذهب موسى لميقات ربه أربعين ليلة ليعطيه التوراة التي فيها هدى ونور ، وسوس إليهم الشيطان أن يقلدوا الوثنيين الذين رأوهم عند مجاوزتهم البحر .

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف:١٣٨-١٤١) .

فتظاهروا بذلك أنهم آمنوا ورجعوا عن تقليد الوثنيين حتى إذا ذهب موسى لميقات ربه ، ارتدوا على دينهم وعبدوا العجل . ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف:١٤٨) .

● ما يستفاد من منهج سيدنا موسى ومن دعوته

١- يجب أن يتعلم الداعية من بدء رسالة موسى ملازمة الطهارة لذكر الله في الصلاة حيث جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه:١١-١٤) .

٢- كما يجب أن نتعلم الرفق والتلطف في دعوة الكبير أو الأمير وقد سبق مثله في دعوة سيدنا إبراهيم أما في دعوة سيدنا موسى فقد أمره الله صريحًا باللين وقال : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

(طه:٤٢-٤٤) .

٣- ليتعلم الداعية من دعوة موسى جواز إعانة المدعوين في شدائدهم إعانة أدبية كانت أو مادية لتأليف قلوبهم واستمالتها إلى الدعوة وذلك أنهم لما طلبوا من موسى الدعاء لكشف البلاء عنهم دعا لهم فكشفه الله عنهم وصارت بعد ذلك من سنن الأنبياء في دعوتهم أن يعاونوا المدعوين بكل أنواع الإعانة فسيدنا عيسى كان يبرئ الأكمه والأبرص توسلاً بذلك إلى استمالة المدعوين للإيمان بالله .

وجاء سيدنا محمد ﷺ وفرض من الزكاة نصيبًا للمدعوين الذين سماهم «المؤلفة قلوبهم» وجاء في بعض الكتب التاريخية أن النبي ﷺ بعث خمسمائة دينار إلى مكة حين قحطوا وأمر بدفعها إلى أبي سفيان بن حرب وصفوان ابن أمية ليفرقاها على فقراء مكة .

٤- ليتعلم الداعية من دعوة موسى : ضرورة الاهتمام بشأن الشباب أكثر من الشيوخ لقوله : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ (يونس:٨٣) .

وليقدر من ذلك دور الشباب في دعم الدعوة في كل زمان ومكان .

● دور الشباب في دعم الدعوة

الشباب صورة اليوم وعدة الغد وعنوان الحاضر وقوة المستقبل ، وعلى الشباب تعقد الآمال في كل أمة .

وما بعث الله نبيًا ولا أرسل رسولاً إلا كان شابًا وكان مُؤَيَّدًا بالشباب ، وكان سيدنا إبراهيم شابًا يوم أنكر على قومه عبادتهم للأصنام لهذا قالوا : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ (الأنبياء:٦٠) .

ويوم بُعِثَ موسى استكبر عليه الملأ من قومه وما آمن له إلا ذرية منهم .

وكان أصحاب الكهف الذين وردت قصتهم في القرآن شبابًا حيث وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف:١٣) .

والحواريون الذين نصروا عيسى عند مبعثه كانوا شبابًا : ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ (الصف:١٤) .

أجل إنهم شباب يوم قالوا نحن أنصار الله ، إذ فيهم من عاش بعد ذلك سبعين عامًا كيوحنا الإنجيلي ـ ومن عاش بعد ذلك خمسين عامًا كفيلبس .

وسيدنا عمر بن الخطاب كان شابًا يوم طلب النبي ﷺ من الله أن يعز الإسلام بأحب الرجلين إليه تعالى : عمر بن الخطاب «الشاب» أو عمرو ابن هشام «الشيخ» .

فاستجاب الله دعاء النبي فأسلم عمر بن الخطاب الشاب وعمره يومئذ أقل من أربعين عامًا .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : «بعثت بالحنيفية السمحاء فأعانني الشباب وتخلى عني الشيوخ»[1] .

والمبشرون يدركون هذه الحقيقة ، لذلك كانوا يركزون جهودهم على الأطفال ويفتحون لهم المدارس ويغزونهم بالملاهي والمغريات .

ذلك لأن الشباب مظنة التقليد كما أن الشيوخ مظنة الجمود على ما شبوا عليه ، لهذا قيل : « من شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه» ، وكل من تعود شيئًا حتى بلغ من العمر خمسين عامًا تحجر عليه وتجمد وصعب انتزاعه منه على حد قول الشاعر :

---

(١) لم أقف على تخريج هذا الحديث بهذا الترتيب ، بل هناك أحاديث صحيحة تؤيده في الجامع الصغير والطبراني .

إذا جاوز الخمسين سنك لم يكن ... لدائك إلا أن تموت طبيب

وقال آخر :

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يواري في ثرى رمسه

وقال ابن دريد :

يقوم الشارخ من زيغانه ... فيستوي ما انعاج منه وانحنى

والشيخ إن قومته من زيغه ... لم يقم التثقيف منه ما التوى

كذلك الغصن يسير عطفه ... لدنا شديدًا غمزه إذا عسا

وبذلك يفهم العاقل معنى الأثر القائل : «التعليم في الصغر كالنقش على الحجر ، والتعليم في الكبر كالرسم على البحر»[1] .

● في الذين نجوا من قوم فرعون عبرة لأولي الألباب

ومن غريب ما ترى العينان وتسمع الأذنان هلاك بعض أبناء الأنبياء ونسائهم ، ونجاة بعض من ولدوا وترعرعوا وعاشوا بين الأشقياء : نجوا لمجرد إيمانهم بربهم في اللحظات الأخيرة من أعمارهم ، لقد صدق الرسول القائل : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» .

ولقد رأينا امرأة نوح وابنه كنعان ، وامرأة لوط ، وآزر أبا إبراهيم ، وأمثالهم : هلكوا مع الهالكين ولم تنفعهم قرابتهم للأنبياء وعشرتهم مع الصالحين . قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ (التحريم: ١٠) .

وفي مقابلة هؤلاء نجد ثلاثة من الذين عاشوا في بلاط فرعون طوال أيامهم حتى مبعث موسى عليه السلام فهداهم الله إلى الإيمان بالله وبالنبي موسى

---

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ٣٠ .

فأسلموا وحسن إسلامهم وماتوا مسلمين حتى قص الله أخبارهم لنا في القرآن الكريم ولا زلنا نردد ذكراهم الحسنة أبد الدهر .

ولعلهم حصلوا على هذه الدرجة الخالدة لأنهم كانوا على الفطرة طوال عهدهم في أوساط الكفار ، أو كانوا يعملون الخيرات التي هداهم الله بها إلى الإسلام ، فأسلموا على ما أسلفوا من خير .

وأول هؤلاء الثلاثة : سحرة فرعون .

وثانيهم : خازن فرعون .

وثالثهم : امرأة فرعون .

إن هذا لشيء عجاب . . قال ابن دريد :

لا تعجبن من هالك كيف غوى بل فاعجبن من سالم كيف نجا

● إيمان السحرة

لقد كان السحرة الكهنة في عهد الفراعنة من أقوى القوى المسيطرة على طبقات الناس ، لذلك اتخذهم الفراعنة أعوانًا لهم في تسخير الناس واستعباد المستضعفين .

ولما أرسل الله سيدنا موسى إلى فرعون لقمع طغيانه هو وأعوانه ، ولكسر شوكة السحرة والكهنة ومحو نفوذهم .

أيد الله النبي موسى بالمعجزات التي تدمغ السحر والكهانة فأتى سيدنا موسى فرعون وقال له : ﴿ **هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ** ﴾ (النازعات:١٨-٢٤) .

فجمع السحرة حتى بلغوا عشرات الألوف ، وأمدهم بأموال ليتعمقوا في السحر حتى يغلبوا موسى (كما زعموا) .

ولما حل موعدهم : «يوم الزينة» وخرج الناس على بكرة أبيهم إلى الموقف ، يقولون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين .

فتقدم موسى إلى السحرة ووعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر لمعارضة آيات الله ومعجزاته : ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (طه:٦٤-٧٦) .

هؤلاء السحرة الذين كانوا كفرة في بداية أمرهم انقلبوا مؤمنين بالله وبرسوله ، فأمسوا شهداء وسعداء بررة في نهاية أمرهم .

أليس من العجب العجاب أن نرى الذين لم يدينوا بدين الله الحق طوال حياتهم ، ولم يبق بينهم وبين مماتهم إلا بضعة أيام أو ساعات ، فانقلبوا مؤمنين صالحين ناصحين مرشدين حتى حكى الله على لسانهم النصيحة والإرشاد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ .

وإن قيل : إنه لم يَحْكِ الله تعالى هذه الكلمات على لسانهم ، أفلا يكفهم شرفًا وسعادة أن جعل الله ذكرهم خالدًا مخلدًا في كتابه الذى يتلى إلى قيام الساعة ؟

● مؤمن آل فرعون

وبعد أن آمن السحرة بموسى وأنجز فيهم فرعون وعيده ، قام رجل من آل فرعون وهو خازنه ، كان يكتم إيمانه من قبل فأعلنه وجعل يدعو قوم فرعون إلى الهدى والإيمان ، ولكنهم ركبوا رؤوسهم وتمادوا في طغيانهم يعمهون .

وقد حكى القرآن لنا مواعظ الرجل مما يبؤوه أعلى مقامات الدعاة بعد الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى حكاية عنه : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (غافر:٢٨-٣٤) .

انظروا إلى ما استفاض على لسان هذا الرجل المؤمن من مواعظ بليغة ، فإن حكاية القرآن لمواعظ هذا الرجل مما يرفع درجته إلى بحبوحة الصديقين والشهداء والصالحين ، مع أنه كان قد عاش بين الكفار الوثنيين قبل مبعث سيدنا موسى عليه السلام .

ولعل من حسنات هذا الرجل السابقة ، وقد هداه الله إلى الإيمان والإسلام : أن يكون هو الرجل الناصح لسيدنا موسى بالخروج إلى مدين عندما قتل القبطي في قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾

(القصص:٢٠) .

وفي الحديث «سباق الأمم ثلاثة ، لم يكفروا بالله طرفة عين من قبل : مؤمن آل فرعون ، وحبيب لنجار صاحب يس ، وعلى مؤمن آل محمد»[1] .

● آسية امرأة فرعون

كانت امرأة فرعون تسمى آسية ، وكانت مؤمنة صالحة ، ومن سوابق حسناتها أنها هي التي قالت لفرعون - يوم التقاط موسى : لا تقتلوه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ (القصص:٩) .

وحاصل قصتها : أن امرأة خازن فرعون ، وهي الماشطة التي تمشط لبنت فرعون ، لما آمنت بموسى ، وأخبرت بنت فرعون والدها بذلك ، أمر بها وبأولادها أن يلقوا في تنور من نحاس ، وكانت آسية متطلعة من كوة في قصرها ، تنظر إلى الماشطة كيف تعذب وتقتل ظلمًا ، قالت : الويل لك يا فرعون ، إلى متى تقتل أولياء الله يا عدو الله ؟ فقال لها : لعلك اعتراك جنون ؟ قالت : ما اعتراني جنون ، ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين ، رب موسى وهارون ، فأمر بها فرعون فشدت يداها ورجلاها بين أربعة أوتاد .

وفيها قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (التحريم:١١).

---

(١) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير .

ففتحت لها أبواب السماء فرأت البيت في الجنة ، فضحكت وأسلمت روحها إلى ربها ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥) .

● دور الأنبياء والعلماء بعد موسى

كان الذين يسوسون بني إسرائيل من بعد موسى على ثلاثة أقسام : أولهم الأنبياء ـ كما جاء في الحديث المتفق عليه ولفظ البخاري عن أبي هريرة قال : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي . . . » إلخ ومن هؤلاء الأنبياء من يسمون عندهم بالقضاة ، وهم الذين يحكمون بما في التوراة من أحكام المعاملات والجنايات والعبادات .

وثانيهم الربانيون : وهم الفقهاء ، الذين كانوا يشرحون التوراة بالأحاديث الشفوية المتواترة عن النبي موسى عليه السلام ويسمونها « التلمود »[1] .

وثالثهم الأحبار : وهم الكتبة الذين يقومون بطقوس القرابين في الذبائح ، ومعظمهم من نسل هارون ، سبط لاوي .

ويمكن استنباط هذه الأقسام الثلاثة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ (المائدة:٤٤) .

وقد تولى يوشع بن نون على بني إسرائيل من بعد موسى مباشرة ، وعلى يديه تم فتح بلاد الكنعانيين ، وقد نبئ بعد موسى ، وهو الفتى الذي رافق موسى في رحلته : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ (الكهف:٦٠) .

وهو أيضًا أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ (المائدة:٢٣) .

---

(١) والله أعلم بصدق تلمودهم هذا !!

ثم تولى عليهم كالب ، وهو ثاني الرجلين المذكورين[1] .

ثم تولى بعده يوشاقوس ، وكان شبيهًا بالنبي يوسف في الجمال .

ثم تولى بعده حزقيل بن بوري الملقب بابن العجوز .

ثم تولى بعده إلياس الذي ﴿ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (الصافات:١٢٤،١٢٥) .

ثم تولى اليسع ، ثم ذو الكفل ، ثم شمويل ، ثم حدثت فتن بينهم وبين عدوهم ، طلبوا من أجلها بواسطة شمويل أن يختار الله عليهم ملكًا كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٤٦،٢٤٧) .

فتولى عليهم طالوت ، وجاهد بهم في سبيل الله ، حتى انتصروا على عدوهم ، وكان الفتح على يد النبي داود الذي تولى بعد طالوت على بني إسرائيل ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (البقرة:٢٥١) .

ثم تولى سليمان بعد أبيه داود ، وبنى ما أراده أبوه من بناء البيت المقدس ، كما بنى سيدنا إبراهيم وإسماعيل البيت العتيق .

---

(١) قصص الأنبياء للثعالبي .

وفي فتح الباري أن بين البناء الأول للمسجد الحرام والمسجد الأقصى أربعين سنة وبين بناء إبراهيم المسجد الحرام ، وبناء سليمان للمسجد الأقصى أكثر من ألف سنة .

● بدء إطلاق كلمة اليهود على بني إسرائيل

انقسمت مملكة بني إسرائيل ـ بعد النبي سليمان ـ إلى مملكتين :

أولاهما : مملكة بني إسرائيل ، تحت نفوذ الملك يربعام بن ناباط عبد سليمان ، أو ابنه الأصغر .

ثانيهما : مملكة يهوذا ـ تحت حكم الملك حربعام ابن سليمان الأكبر ـ انتسبت هذه المملكة إلى يهوذا أحد أخوة يوسف ، لأنهم زعموا أن سيدنا موسى من نسله ، وجعلوا الانتساب إليه فخرًا لهم على من سواهم من بني إسرائيل .

ثم وقعت المملكتان الإسرائيليتان في حروب طاحنة ردحًا من الزمان ، حتى أغار عليهم بختنصر ، وغلبهم وقادهم أسرى إلى بلاده بعد ما خرب البيت المقدس الذي بناه سليمان ، ومكثوا في الأسر سبعين عامًا .

ثم جاء زمن الخلاص ، وتخلصوا من الأسر ، وعادوا إلى فلسطين ، وأعادوا بناء البيت المقدس ، ونزلوا بجبل يهوذا ، وسموا أنفسهم بيهود ، تمييزًا بذلك عمن سواهم من بني إسرائيل ، وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد .

ومن هنا صار يغلب إطلاق اليهود على بني إسرائيل ، هذا ما حققه علماء التاريخ من اليهود والنصارى .

أما عندنا نحن المسلمين فيذهب أكثر العلماء إلى أن اسم اليهود مستمد من قولهم : ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف:١٥٦) .

وأن القرآن كان يطلق عليهم صفة الذين هادوا ، فكان الاسم مشتقًا من : « هاد يهود » والله أعلم بالصواب .

والقول بأن إطلاق اسم اليهود إنما بدأ في القرن الخامس قبل الميلاد . يؤيده ما جاء في القرآن الكريم في الرد على الذين زعموا أن سيدنا إبراهيم كان يهوديًا حيث قال : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٤٠) .

وقوله : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٣) .

● عقيدة اليهود

التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عماد الديانة اليهودية في العقائد والعبادات والأحكام ، وقد اندرست نسخ التوراة مع الحروب المتوالية على بني إسرائيل ، ومع تخريب البيت المقدس عدة مرات ، وكانوا يعيدون كتابتها من حفظهم في كل مرة من المرات ، ويقال إن أول من أعادها من حفظه هو أحد أنبيائهم عزيرًا لهذا سماه اليهود ابن الله .

ثم صارت اليهود تهتم بمدارسة التوراة : حفظًا وتعليقًا وشرحًا وتفسيرًا في بيوت خاصة ، سموها « مدراس التوراة »[1] .

وذكر السيد رشيد رضا في كتابه « الوحي المحمدي » نقلاً عن قاموس الكتاب المقدس : أن صمويل النبي الذي أقام لليهود طالوت ملكًا على بني إسرائيل بنى مدرسة في الرامة لتعليم التوراة ، وأطلق على تلاميذ هذه المدرسة اسم « بني الأنبياء » ، وكانوا يتعلمون فيها تفسير التوراة والموسيقى والشعر .

ثم تأسست بعد ذلك مدارس أخرى لأبناء الأنبياء في بيت أيل ، وأريحا ، والجلجال ، وغيرها .

وكان رئيس هذه المدرسة يدعى أبا وسيدا[2] . .

---

(١) المدراس : بوزن مفتاح .

(٢) ولعل هذا هو السبب في حمل النصارى على تسمية أحبارهم بالأب أو البابا .

وكانت توراة موسى المكتوبة في الألواح لا تتجاوز نصوصًا من سفر التكوين ، والخروج ، ثم أضافوا إليها كتبًا لأنبيائهم ، وأطلقوا عليها التوراة .

ثم جاء النصارى ، وأطلقوا على التوراة : العهد القديم ، وجعلوها خمسة أسفار ، وهي : التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، واللاويين .

ثم زادوا فيها حتى بلغت ما بلغت .

وعد السامريين توراة غير التي بيد الإسرائيليين .

ويدور اختلاف طوائف اليهود حول اعترافهم بأسفار التوراة[1] وأسفار التلمود وقبول بعضها ورفض بعضها وبما جاء من أحكام وتعاليم ، وأهم الطوائف اليهودية وفرقهم الدينية كالآتي :

أولهم : الفريسيون ، وهم الذين ألفوا أسفار التلمود ، ويعتقدون بصحة البعث بعد الموت ، وأن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الحياة الدنيا ليشاركوا في ملك المسيح المنتظر .

ثانيهم : الصدوقيون ، وهم الذين لا يؤمنون بالبعث واليوم الآخر ، بل يعتقدون أن العقاب والثواب إنما يكونان في هذه الحياة الدنيا ، وهم الذين يقولون : عزير ابن الله ، ويتمسكون بنصوص العهد القديم ، ولا يقبلون التلمود .

ثالثهم : السامريون ، وهم الذين يبطلون كل نبوة في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع .

ورابعهم : الحسديون ، وهم الذين حدثوا في القرن الثاني قبل الميلاد ، وهم يحرمون الأضحية والقرابين التي هي أهم عبادات الفرق اليهودية الأخرى .

وخامسهم : القراءون أو العنانيون ، وهم أحدث فرقة يهودية لأنهم حدثوا في القرن الثامن بعد الميلاد ، في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور في بغداد ، وهم لا يعترفون بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين .

---

(١) كتاب « اليهود » للدكتور عبد الواحد وافي .

● **صفات الله في توراتهم الحاضرة**

التوحيد والتنزيه عن التشبيه أصل الأديان السماوية كلها ، وأن الله هو رب العالمين أجمعين .

ولكن اليهود زعموا أن الله «يهوه» هو رب اليهود وحدهم دون غيرهم ، والتوراة الحاضرة مليئة بما يشبه الله بالإنسان ، الذي يكل ويتعب ، ويستريح من تعبه ، لذلك ـ في قولهم ـ لما خلق السموات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع ، وهو يوم السبت ، وزعم اليهود أن الله يعمل ويندم على عمله ، زعموا أنه قد ندم على خلق الإنسان كما هو مدون في الإصحاح الثالث والسادس من سفر التكوين .

وزعموا أنه تعالى يظهر في صورة إنسان ، ويصارع غيره ، وقد صارع إسرائيل وأن له أولادًا ذكورًا كما في سفر التكوين فليراجعه من شاء . وهكذا ضاع التوحيد منهم .

● **النبوة عند اليهود وفي التوراة والتلمود**

لا يعرف اليهود معنى النبوة حق المعرفة ، ولقد كانوا يطلقون على النبي مختلف الأسماء والأوصاف ، فكانوا يسمون النبي بالرائي ، أو الناظر ، أو رجل الله ، ولم يطلقوا عليه اسم النبي إلا بعد معرفتهم بأنبياء العرب ، فثبت بذلك أن اليهود تعلمت النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب[1] .

ولم يكن اليهود يعرفون الأنبياء الأولين إلا آباءهم كنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وكانوا يعتبرون يوسف وداود وسليمان ملوكًا فقط ، لا أنبياء .

والنبي الوحيد الذي اعترف به اليهود هو موسى عليه السلام ، ومع ذلك لم يقدروه حق قدره ، بل كانوا يعاندونه ويؤذونه ، حتى قال ـ كما حكى الله تعالى عنه في القرآن ـ : ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ (الصف:٥) .

---

(١) حقائق الإسلام للعقاد ص ٦٣ .

ولم يكونوا يشكرون الله على إخراج الأنبياء منهم ، لذا قال موسى : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٠) .

وظلوا بعد موسى يقتلون أنبيائهم ، لهذا قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٧).

● دولة اليهود

لقد علمت أن المملكة اليهودية إنما تأسست على يد طالوت وداود ، ثم سليمان ثم انقسمت بعد موت سليمان إلى مملكتين متنازعتين ، فلم تلبثا أن اندثرتا من جراء توالي الحروب الداخلية والخارجية عليهما .

فاستطاع بختنصر أن يهاجم اليهود ، ويقتل كبارهم ، ويخرب ديارهم ، ويأسر أبنائهم إلى فارس ، وبقوا هناك سبعين عامًا إلى أن جاء زمن الخلاص من الأسر ، فعادوا إلى فلسطين ، وأعادوا بناء البيت المقدس ، وأعادوا دولتهم على شكل جمهورية تشتمل على أربعة أقاليم ، وتتألف من مجلس شيوخ ، يرأسهم حاخام كبير بصفة رئيس الجمهورية ، وعاشوا تحت هذه الحكومة ردحًا من الزمان ، ثم استهدفت الجمهورية لهجمات مصر وسوريا التي غلبتهم واضطهدتهم وأثقلت كاهلهم بالضرائب وأرغمت أنوفهم بالتكاليف ، وأقامت في معابدهم التماثيل ومنعتهم من الختان ، وأمرتهم بتضحية الخنازير ، فقام أحد أحبارهم «ماتانياس» واستبسل في تحرير وطنهم من سيطرة سوريا ، فتبعه جماعة من أهل الجرأة فهزموا ملك سوريا ، واستعادوا ملكهم ، واستقلوا تمامًا ، وظلوا ينتظرون المسيح المنتظر ليخلصهم من نكباتهم ، ثم نبي آخر الزمان ليكمل كل شيء لهم .

● المسيح المنتظر والنبي الموعود

جاء في سفر التثنية : «أن الله يبعث لبني إسرائيل من إخوتهم نبيًّا مثل موسى» .

كما جاء في أسفار الأنبياء من بعد موسى أن الله يبعث في بني إسرائيل مسيحًا ، فظلوا ينتظرون المسيح والنبي الموعود .

قال العقاد في كتابه « الله » :

ثبتت فكرة المسيح المنتظر في عقائد بني إسرائيل بعد زوال ملكهم وانتقالهم إلى الأسر في بابل قبل ميلاد عيسى بنيف وخمسة قرون .

وكانوا ينتظرونه ملكًا فاتحًا مظفرًا من نسل داود ، وكانوا يسمونه ابنًا لله كما قال ناثان لداود في كتاب صمويل الثاني : « هو يبني باسمي ، وأنا أكتب كرسي مملكته إلى الأبد ، أنا أكون له أبًا ، وهو يكون لي ابنًا »[1] .

وكانت النبوة والأبوة عندهم مجازية شرفية ، لا حقيقة .

ظل بنو إسرائيل يحلمون بقيام دولتهم على يد المسيح المنتظر ، إلى أن غزا فلسطين الإسكندر المقدوني ، فدخلت في قبضة الرومان ، وبقيت كذلك إلى أن جاء المسيح عيسى ابن مريم وأخ. يبشر بملكوت الله ، ثم أوضح أن ملكوت الله قائم في ضمائرهم ، وأن مملكته هو ليست في هذا العالم ، بل في السماء[2] .

وذلك خلاف ما كان اليهود ينتظرون ، فتألبوا عليه وحرضوا عليه حاكم فلسطين الذي عمل بفتواهم في محاولة قتله وصلبه ، فنجاه الله من كيدهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء:١٥٧،١٥٨) .

فانتشرت دعوة المسيح في العالم ، واعتنقها إمبراطور الروم ، فتمكن المسيحيون من الانتقام من أعدائهم اليهود ، واضطهدوهم ، وقتلوهم وشردوهم وسفكوا دمائهم تقربًا إلى المسيح .

---

(١) سفر التثنية : الإصحاح السابع .

(٢) إنجيل يوحنا : الإصحاح : ١٨ .

فتفرق اليهود في آسيا وأوربا فراراً من هذه القسوة والمهانة ، ولجأ بعضهم إلى الجزيرة العربية ، واستوطنوا يثرب وما جاورها إلى وقت ظهور الإسلام .

ثم لجأ الآخرون منهم إلى أمريكا بعد اكتشافها في القرن الخامس عشر الميلادي لأنها الدنيا الجديدة التي اكتشفت حديثًا فتمكنوا فيها تمكنًا عظيمًا .

ظل اليهود طوال ألفي عام يتوزعون في البر والبحر ، والشرق والغرب ، متمسكين بصحة نبوءة توراتهم في إقامة دولتهم في فلسطين ، فظلوا يبذلون كل جائز ومستحيل للوصول إلى هذا الغرض : يخدمون كل ذي نفوذ وجاه لكي يعينهم على هدفهم ، ويتسللون في كل دولة وكل أمة وكل جماعة ليستولوا عليها ، حتى يستغلوها لتحقيق أمنيتهم بطريق مباشر أو غير مباشر .

● **الجمعية السرية**

أنشأ اليهود جمعيات سرية كثيرة بمختلف العناوين والأشكال والصور ، متظاهرين بأنها تخدم الإنسانية في مختلف الأغراض والأهداف ، ولكنها في الحقيقة تخدم أغراض اليهود .

وأول هذه الجمعيات وأكبرها وأوسعها هي الماسونية «البناءون الأحرار».

الماسونية : هي جمعية سرية أنشأها اليهود باسم القوة الخفية ، تحت شعار : المساواة ، والتسامح ، والإخاء .

والماسونية جمعية ذات درجات ومقامات أرقاها رقم ٣٣ ولا يصل إليها غير اليهود أما الأمم الأخرى ، فإنما يقفون في أوائل الدرجات وأواسطها .

وتستعمل الماسونية إشارات وألغازًا ورموزًا للتفاهم بين أعضاءها لا يفهم معناها غير اليهود أنفسهم .

وكانت دعايتهم لنشر هذه الأنظمة «التعاون الإخواني ، التعايش السلمي ، والوحدة الإنسانية» .

والأحبولة التي نصبوها لاصطياد الأمم هي : الصندوق الدولي الضخم الذي رصدوه لمساعدة الفلاحين والبؤساء من العمال والصناع ، باسم الماسونية ، حتى ينضموا تحت لوائها[1].

والماسونية مدرسة إرهابية لتعليم الغدر والخيانة ، والدس والوقيعة ، والاغتيال والتنكيل بالعدو المخالف ، وتخريب دياره وتدمير آثاره .

وتستعمل في مجتمعاتها أدوات البناء ، وجماجم بشرية وهياكلها .

وقد أنشأ اليهود هذه الماسونية أولاً لجمع شتاتهم تحت منظمة عالمية واحدة ، ثم لإمضاء البروتوكولات التي خططوها ضد أعدائهم من كل أمة غير يهودية .

ثم أنشأوا منظمات أخرى بمختلف الأسماء والأشكال والأهداف والشعارات . . . لبث روح الإلحاد والإباحية في نفوس الشباب ، ليتمكنوا من القضاء على آثار الأديان غير اليهودية في كل مكان .

ومن تلك المنظمات ماأنشأه اليهود لهذه الأغراض ، كالصهيونية ، والوجودية ، والروتاري ، والبهائية وأمثالها الكثيرة المتعددة المتنوعة .

ومنها ما أنشأه غير اليهود فتسللوا إليه واستولوا عليه وسخروه لأغراضهم .

وقد استولوا على : الصحافة ، والإذاعة ، والتليفزيون ، والسينما ، وأنفقوا كل غالٍ ونفيس للإكثار من الأفلام الغرامية ، لإحياء الغرائز الجنسية ، ولإغراء الشباب بسفاسف الأمور التي تفسد أخلاقهم وتلهيهم عن المعالي ، وتغرس في قلوبهم الإباحية والإلحاد ، وتنسيهم الحقائق .

انتشرت الماسونية في جميع أنحاء العالم ، ولم يبق بلد ، ولا قرية ، ولا قطر ، ولا مصر ، إلا وقد انتشرت فيه سمومها وأمراضها ، ولم تبق حركة ، ولا منظمة ، إلا وقد أدرجوها تحت إطار الماسونية .

---

(١) هذه هي الماسونية : ترجمة بهيج شعبان ص ١١ .

وقد مضى على أعضاء الماسونية العالمية حين من الدهر قبل أن يدركوا أنها يهودية : قلبًا ، وقالبًا .

● الإسلام والجمعيات السرية

كان اليهود منتشرين داخل يثرب وخارجها قبل مقدم النبي ﷺ إليها ، وقد نشروا فيها مبادئ الماسونية ، وكانوا يتعاطون من تعاليمها ما تيسر لهم ، فجاء القرآن الكريم ينهاهم وينهى المسلمين عن شعار الماسونية ـ المتعارف عليه حين ذاك ـ وهي النجوى ، والتحية غير العادية قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المجادلة:٨-١٠) .

● الصهيونية بنت الماسونية

الصهيونية حركة يهودية جديدة ، أنشأها اليهود بعد الماسونية توسلاً بها إلى إقامة دولة إسرائيلية في فلسطين[1] .

لقد بدأت هذه الفكرة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، تزعمها رجل منهم يدعى « هرتزل » وحمل دعايتها إلى عواصم فرنسا وإنجلترا وأمريكا .

وكانت الفكرة قائمة على إحياء مجد داود ، لذلك نسبوها إلى جبل صهيون ـ قرب القدس الشريف ـ حيث بنى النبي داود عليه السلام حصنه وقلعته أيام دولته .

---

(١) الصهيونية العالمية : علي إمام عطية ص ١٣٤ .

لقيت هذه الفكرة قبولاً من زعماء أمريكا : اليهود منهم وغير اليهود ، مثل روزفلت ، وترومان ، وأيزنهاور ، كما لقيت من زعماء الإنجليز مثل : بلفور ، وتشرشل ، وإيدن ، ولقد ظهرت أمارات نجاح الفكرة لأول مرة عند قيام الحرب العالمية الأولى ، بين ألمانيا وتركيا رمز الخلافة الإسلامية حينذاك من جانب ، وبين بريطانيا وحلفائها من جانب آخر ، فرجحت كفة الأخير على الأول فوقعت تركيا فريسة الحلفاء ، ووقعت معها بلاد العرب وفلسطين تحت نفوذ بريطانيا وفرنسا ، فكانت فلسطين ضمن ما وقعت تحت انتداب الإنجليز .

فسمحت لليهود بالهجرة من جميع أنحاء العالم إلى فلسطين طبقًا لما كان بين اليهود وبريطانيا من معاهدة ومؤامرة صرح بها وزير خارجية بريطانية المسمى بلفور سنة ١٩١٧ .

فتزايد بذلك عدد اليهود في فلسطين التي وقعت تحت انتداب الإنجليز بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، ثم قامت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ بين ألمانيا وبريطانيا ، وانتهت بسقوط ألمانيا تحت أقدام الحلفاء ، فظلت بريطانيا على وفائها لليهود في إقامة دولة إسرائيلية في فلسطين ، فتم بها قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ فاعترفت بها الدول الكبرى .

فتألبت الديانة اليهودية والمسيحية على ضرب المسلمين في قلب البلاد العربية ، وظلت الدول الأفريقية على اعترافها بحق إسرائيل في فلسطين إلى أيام الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية عام ١٩٦٧ ، ثم قيام جمهورية مصر العربية باسترداد كرامة العرب في عبور « خط بارليف » سنة ١٩٧٣ .

أرادت أمريكا أن تدخل في محاربة مع مصر عن طريق غير مباشر فتدخل مجلس الأمن في الأمر ، فأوقف إطلاق النار .

ثم قطعت الدول الأفريقية علاقاتها مع إسرائيل لعدوانها على العرب ، ولموالاتها للحكومة العنصرية في جنوب أفريقيا .

ولكن حدث أن «مصر» رأت أن الدول الكبرى ـ أجمعت على مساندة إسرائيل ومساعدتها بجميع أنواع المعونات المادية والعسكرية . . وفتحت لها أبواب التبرعات في بلادها . وضاعفت عدد المهاجرين إلى إسرائيل من بلادها . . فقبلت مصر ـ إبرام معاهدة سلام مع إسرائيل تعترف بحقوق شعب فلسطين في حكم بلاده . . وانسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية التي احتلت سنة ١٩٦٧ ، وتركت مسألة القدس للعرب والمسلمين والفلسطينيين .

ولكن بعض الدول العربية عارضت هذه المعاهدة . . ولا زالت الأمور بين الأخذ والرد حتى وقعت مقاطعة الدول العربية لمصر حوالي عشر سنين ثم عاد النهر إلى مجاريه عند كتابة هذه السطور للطبعة الثالثة .

● الإسلام والتعاقد مع اليهود

اليهود والنصارى ـ أهل الكتاب الذين ورد ذكرهم في القرآن مراراً وتكراراً : ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٦٦) .

لقد أخبر القرآن بعنادهم وكفرانهم بنعمة الله . وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وفي الوقت نفسه لم يقطع الله عنهم رحمته ، بل قال : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ (الإسراء:٨) .

ولقد أمر الله المؤمنين بالاعتدال مع أهل الكتاب وغيرهم في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨) .

وفي قوله : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:٦١،٦٢) .

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ (التوبة:٧) .

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران:١١٥) .

وانطلاقًا من مبادئ الإسلام في التوحيد بين الأديان السماوية والإيمان بأنبياء بني إسرائيل ، فعل النبي ﷺ ما يأتي :

١- عقد النبي ﷺ مع اليهود العهد والميثاق في أول نزوله بالمدينة .

٢- وكان النبي ﷺ يقترض من اليهود ديونًا ويرهن بما شاء لدينه عندهم ، وقد مات النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في قوت أهله .

٣- تزوج النبي من صفية بنت حيي وقد كانت يهودية ثم أسلمت رضي الله عنها .

وعلى هذا الأساس ، فإن عقد اتفاقية السلام مع اليهود - بعد انتصار الجيش المصري في حرب رمضان - لا يكون بعيدًا عن روح الإسلام إذا اقتضت السياسة الحربية لذلك ، عملاً بما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال:١٥،١٦) .

فلنقل عند الاتفاقية كما قال تعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ (الإسراء:٧،٨) .

● ما يستفاد من تاريخ اليهود

يجب علينا أن نستفيد درسًا من تاريخ بني إسرائيل ، من أيام النبي موسى ﷺ إلى آخر لحظة من تاريخهم ، في تمسكهم بعقيدتهم وديانتهم وعنصريتهم .

لسنا ندعو إلى الاقتداء بهم في كل ما يفعلون ، لأننا لا نعتقد أنهم كانوا سائرين على شريعة موسى الذي انتسبوا إليه ، بل الحق الواضح أنهم حرفوا وبدلوا كما صرح به القرآن وشهد به الواقع .

ولكن هدفنا أن نعتبر بإصرارهم على الباطل ، وشدة تمسكهم بالضلال ، واستعانتهم على الوصول إلى أغراضهم الخبيثة بمختلف الوسائل الفكرية والأدبية والمادية على مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» .

فكيف بنا نحن أصحاب الحق والهدى!!؟

ولعل من أسباب الاعتبار بأحوال بني إسرائيل كان ما كان في الحديث من أن النبي كان يحدث أصحابه عن بني إسرائيل حتى يصبح ولا يقوم إلا للفريضة وأنه كان يقول : «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار»[1] .

وأنا أشك أن أكثر الذين ينتسبون اليوم إلى اليهود كانوا من بني إسرائيل حقًّا ، بل أراهم أوشابًا وأجناسًا من سماسرة الذهب ، تكتلوا من مختلف الأجناس وانتسبوا إلى اليهود لأغراض دنيوية خاصة ، لأن تفرق اليهود في العالم وتشتتهم في الأمم لا تمكنهم من الاحتفاظ بدمائهم ، حتى لا يمتزج بها دم غيرهم مهما حاولوا ذلك ، لأنهم اعتقدوا ضرورة الاحتفاظ بهذا الدم في التزاوج والمصاهرة .

فلا يمكن أن يبقى الدم الإسرائيلي خالصًا طوال ثلاثة آلاف سنة .

أليس ذكورهم يتزوجون بإناث غيرهم قل أو كثر ؟

أليس الإسرائيليون يتكلمون بلغات من يقطنون في بلادهم ، حتى كادت اللغة العبرية تذوب في بحر اللغات قبل إحيائها اليوم بعد تأسيس دولتهم الجديدة عام ١٩٤٨ ؟

---

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة .

فليحذر الكُتَّاب العرب من تأكيد الذم بما يشبه المدح في نسبة كل حركة عالمية إلى اليهود ، كالقول بأن الفيلسوف فلانًا ، والبحاثة فلانًا ، والمليونير فلانًا ، يهودي ، ففي ذلك تنويه بهم ، وتمجيد بتفوقهم ، فيزدادون تكبرًا وطغيانًا ، كما سبق بين الإنس والجن في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن:٦) .

ولقد كان بنو إسرائيل يتبجحون بأن القرآن ينوه بفضلهم على العالمين ، إذ جعل فيهم أكثر الأنبياء ، وتناسوا أن الله غضب عليهم ولعنهم على ألسنة رسله ، مرارًا وتكرارًا .

* * *

obeikandl.com